وهدية، فأمر أن يأخذها ناظر الكسوة بالقاهرة ويبعثها لتلبس من داخل البيت وانصرفوا. فلما وصلوا باب القلعة أخذهم الرجم من العامة والسبّ واللعن، وناهبوهم، وتألم السلطان لذلك، وأمسك بعض المثيرين للفتنة وقطع أيدي جماعة منهم، وضرب جماعة، وبالغ في إكرامهم لجبر الخواطر. ومع ذلك تحرك صاحب الترجمة إلى البلاد الشامية، فلما وصل النواحي السلطانية (مات)، وذلك في سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمانمائة. ويقال: إن الكسوة كانت لا تساوي ألف دينار.

(١٩٣)

(شاه شُجاع بن مُحمَّد بن مُظفَّر ملك شِيراز وعِراق العجم)

استقر في الملك بعد أن سجن أباه، وقرّر أخاه شاه مَحْمُود في بلاد أصفهان وقم وقاشان. وكان لصاحب الترجمة اشتغال بالعلم واشتهار بقوة الفهم ومحبة العلماء. وكان ينظم الشعر ويحب الأدباء ويجيز على المدائح، وقُصِد من سائر البلاد. ويقال: إنه كان يقرأ «الكشاف» وكتب منه نسخة بخطه الفائق. وكان يعرف الأصول والعربية، وله أشعار كثيرة بالفارسية. وطالت أيامه وكان حسن السيرة. ولما استولى تَيْمُور على بلاد العجم راسل ملوك عراق العجم وعراق العرب فبادر إلى مهادنته ومهاداته ليكفي شَرَّه، فلما حضره الموت أوصى بمملكته لولده زين العابدين. وأرسل إلى تَيْمُور يُوصيه عليه، فاستقر ولده مكانه. وكان صاحب الترجمة قد ابْتُلي بكثرة الأكل، فكان يأكل ولا يشبع حتى كان إذا توجه إلى جهة تسير البغال محملة بالقدور التي عليها الأطعمة، ولا يزال يأكل وهو يسير. ولم يكن يقدر على الصوم. وكان يكفر، وكان يبتهل إلى اللَّه كثيراً أن لا يجمع بينه وبين تَيْمُور. فأجيبت دعوته، (ومات) في سنة ٧٨٧ سبع وثمانين وسبعمائة قبل مجيء تَيْمُور إلى عراق العجم.

(١٩٤)

(السيد شَرف الدين بن أحمد بن مُحمَّد ابن الحُسَيْن بن عَبْدالقَادِر بن النَّاصِر بن عبد الربّ بن عليّ)[1]

ابن شَمْس الدين ابن الإمام شَرَف الدين أمير كوكبان وبلادها. (ولد) في ربيع الآخر سنة ١١٥٩ تسع وخمسين ومائة وألف، واستقرّ في الإمارة بعد عمّه عِيسَى بن مُحمَّد بن الحُسَين، وهو الآن مُستمرٌّ على الإمارة، وفيه عدل ورفق برعيته، ولكنه

(١) ترجمته في: نيل الوطر: ٢/ ١٠؛ الأعلام: ٣/ ١٦٠.

يتعرض للكلام في المسائل العلمية إذا عرض ما يقتضي ذلك، فيأتي بما لا يناسب رفيع قدره. وقد كاتبني غير مرةٍ، وذاكرني في مسائل، ونصحته، فأظهر القبول ولم يفعل. واتفق في سنة (١٢١٣) وهي السنة التي حَرَّرْتُ فيها هذه التراجم أنه وصل منه كتاب يتضمن أنه قد صحَّ لديه أن أول شهر شعبان يوم الاثنين، وأن أول رمضان يوم الأربعاء على كمال العدة، وأرسل به إلى خليفة العصر حفظه اللَّه، فأرسل به الخليفة إليّ فأجبتُ أن ذلك ليس بسبب شرعي يجب الصوم عنده، لأن صاحب الترجمة لم يكن مفتياً حتى يكون قوله سبباً يجب له الصوم. ولم يذكر الشهود حتى ينظر في شأنهم ولا كتب الكتاب من بحضرته من العلماء حتى يجب علينا العمل بأقوالهم. فلما وصل ذلك إلى مولانا الإمام حفظه اللَّه بنى عليه وترك الإشعار بدخول رمضان، ولم يُشعر بالصوم إلَّا ليلة الخميس. فلما بلغ ذلك صاحب الترجمة وقع عنده بموقع، وكتب إلى مولانا يعاتبه ويقول: إنها لم تُردّ شهادتهم على الشهر إلَّا هذه المرة، وإنَّه قد كثر التعنت في شأن الشهادات، فلم يلتفت مولانا حفظه اللَّه إلى ذلك. ومن الغرائب أنه انكشف رجوع بعض الشهود الذين استند إليهم. وقد اتفق بيني وبينه تنازع في رجل من رعيته طلبه إلى موقف الشرع رجل من أهل صنعاء فلم يحضر، فأرسلت له رسولاً ففرَّ إلى كوكبان، فعاد الرسول بكتاب منه مضمونه أنها لم تجر العادة بالإرسال لرعيته. فأرسلتُ رسولين، وأمرتهما بالبقاء في بيت الرجل، فوصلا إلى بيته فَفرَّ إلى كوكبان، فَبقيا في بيته، فعظم الأمر على صاحب الترجمة، وتوجّع من ذلك غاية التوجع، ثم بعد ذلك توسّط بعض الناس على أن يحضر الرجل، ويسلم أجرة الرسولين، وكثيراً ما يجري بيني وبينه من هذا، وما كنت أودّ له التصميم في مثل هذه الأمور الشرعية، فإنه كثير المحاسن لولا هذه الخصلة التي كادت تغطي على محاسنه. وهو غير مدفوع عن بعض عرفانٍ وحفظٍ للآداب، ولكنه ليس ممن يناظر في المسائل، ويعارض في الدلائل. وهو محبوب عند رعيته، وذلك دليل عدله فيهم. ولم أعرفه لعدم معرفتي لمحله. ثم في صفر سنة (١٢٢٨) غزا مولانا الإمام المتوكل على اللَّه بنفسه مع بعض جنده إلى بلاد كوكبان لأمرٍ اقتضى ذلك وكنت معه، واستولى على كوكبان وبلادها، وبقينا في حصن كوكبان نحو ثلاثة أشهر. وكنت قد نصحت الإمام بترك هذه الغزوة، وأنه لا سبب شرعي يقتضي ذلك، فصمَّم ولم يقبل، ثم رجع صنعاء وأدخل معه صاحب الترجمة وجميع أعيان آل الإمام شرف الدين، ولم يبق إلا الأقل منهم في تلك الجهة. وجعل للبلاد الكوكبانية والياً، وجعل صورة الولاية لواحد من أهل كوكبان وهو (السيد حُسَين بن عليّ بن مُحمَّد بن عليّ)، ولم يكن له من الأمر شيء، إلّا مُجرَّد الصورة فقط. ثم استمرّ بقاء صاحب الترجمة وبعض الداخلين مع الإمام في صنعاء سنة كاملة وزيادة أيام يسيرة، وأذن الإمام حفظه اللَّه برجوعهم

بلادهم، وفوّض أمرها إلى صاحب الترجمة كما كانت قبل ذلك. وهو الآن مُستمرٌّ على ولايته. وعند الاجتماع به في كثير من الأوقات لا سيما بعد دخوله صنعاء في الحضرة الإمامية، وجدت فيه من الظرافة واللطافة وحسن المحاضرة وجميل المعاشرة وقوة الدين وكثرة العبادة ما يفوق الوصف. وما زلت أعوّل على مولانا الإمام حفظه اللَّه بإرجاعه بلاده على ما كان عليه، وكثَّرت في ذلك حتى ألهمه اللَّه إلى ذلك فللَّه الحمد. ثم في سنة (١٢٣٣) غزا البلاد الكوكبانية مولانا الإمام المهدي ابن الإمام المتوكّل، ووقعت حروب طويلة بينه وبين سيدي شرف الدين صاحب كوكبان. ثم رجع الإمام بعد أن حاصر كوكبان ثمانية عشر يوماً وأمرني بالبقاء في شبام لتمام الصلح، فبقيت هنالك. ثم تمّ الصلح على يدي، ورجعت إلى صنعاء ومعي سيدي عبد اللَّه بن شرف الدين، وسيدي أحمد بن عبَّاس بن إبراهيم في أهبة لهما كبيرة، وجيش وخيل، وسكنت الفتنة بحمد اللَّه.

(١٩٥)

(السيد شرف الدين بن إسْماعيل بن مُحمَّد ابن إسْحَاق بن المهدي أحمد بن الحَسَن بن القاسِم بن مُحمَّد)[1]

ولد سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف، وهو أحد علماء العصر وفضلائه ونبلائه. له في كلّ علمٍ نصيب وافر، ولا سيما علم الأصول، فهو المتفرد به غير مدافع. وقد صار الآن في نيف وسبعين سنة. وهو من العلماء العاملين والفضلاء المتورعين مع حسن أخلاق وتواضع وطيب محاضرة وكرم أنفاس. وقد خرج في آخر أيام الإمام المهدي العباس بن الحُسَين إلى بلاد أرحب مغاضباً لسبب اقتضى ذلك، وجرت حروب، ثم بقي هنالك إلى بعد موت الإمام المهدي، ودخل صنعاء في خلافة مولانا الإمام المنصور باللَّه حفظه اللَّه، واغتنم الفرصة، فرأى له الخليفة حفظه اللَّه بذلك حقّاً. وما زال معظماً له مكرماً لشأنه. وفي سنة (١٢١٣) تُوفي عمُّه العبَّاس بن مُحمَّد بن إسْحاق وكان أمر آل إسْحَاق راجعاً إليه، فجعل مولانا الخليفة ذلك إلى صاحب الترجمة، فباشر ذلك مباشرةً حسنةً. وقد أخبرني أنه نقل من رسائلي التي يطلع عليها نحو ثلاثٍ أو أربع، وذلك لشغفه بالعلم ومزيد رغبته فيه، وإلّا فهو عافاه اللَّه لا يحتاج إلى مثل ما يُحرّره مثلي، وهذا يُعَدُّ من حسنِ أخلاقه وتواضعه ومحبته للفوائد العلمية. وله رسائل رصينة وإذا حرر بحثاً جاء بما يشفي ويكفي. وهو من بقايا الخير في هذا العصر لجمعه بين طول الباع في جميع العلوم مع عُلوِّ السن

(١) ترجمته في: نيل الوطر: ٢/ ١١؛ الأعلام: ٣/ ١٦١؛ معجم المؤلفين: ٤/ ٢٩٧.